# قضايا ونماذج تحليلية في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم

# Analytical Issues and Models in the Rhetorical Miraculousness of the Noble Qur'an

أ. عدنان مهنديس

كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس

جامعة سيدي مُحَمَّد بن عبد الله، فاس، المغرب.

mhndysdnan@gmail.com

**الملخص:**

يتميز القرآن الكريم بغنى مادته اللغوية البيانية؛ مما يجعله منبعا خصبا ونافعا للباحثين والدارسين من أجل استخراج نماذج تبرز جمال صنعته، وروعة نسقه؛ وهي كنوز لا تقف عند حدود هذه الأفانين بل تتجاوز ذلك إلى تأسيس صنعة منطقية تأملية تؤثثها عملية ترتيب الألفاظ وطريقة صياغة العبارات، ولعل هذا البحث ضرب من ضروب النقش في تحديد هذه العلاقة وبيان بعض أوجهها.

**الكلمات المفتاحية:** الإعجاز- القرآن- الألفاظ- المنطق.

**Abstract**:

The Holy Qur'an is distinguished by the richness of its linguistic and (meaningful) eloquent data( material), Which make it a fertile and useful source for researchers and scholars. They can extract models that highlight the beauty of its challenging words, and the splendor of its style. These treasures do not stop at the limits of the Qoran's linguistic or semantic richness , but rather go beyond that to establish a logical and contemplative craft ; a field of work which is furnished by the process of words' arrangement and the way phrases are formulated . This research is an attempt to determine this relationship and clarify some of its aspects

**Keywords**: Miraculousness- Qur'an- words-logic

**مقدمة:**

القرآن الكريم حجة الله في أرضه، وهوالمعجزة الخالدة المحفوظة من التبديل والتغيير، مظاهر ووجوه إعجازه متعددة وباهرة، وهي التي شكلت أرضية صلبة ولبنة متينة لتأليفات العلماء وإسهاب كتاباتهم فيها، كل يدلي بدلوه فيها إما خدمة لتخصصه العلمي الموافق لها، أوسعيا منه للدفاع عن مكانة القرآن الكريم في زاوية معينة من زواياه العلمية.

ولما كانت اللغة العربية وعاء خطابه ومنطلق الوصول إلى كنوزه وأسراره؛ فقد اخترت في هذا البحث أن ألامس جانبا من جوانب الإعجاز، ممّا له صلة وثيقة بهذه اللغة، رغبة مني في اكتشاف بعض معالم إعجاز البلاغة اللغوية في القرآن، وليس هذا الموضوع في مجاله سهل المنال، بل يحتاج من الباحث جهدا عاليا وتفريغا لطاقات الفهم والإدراك، بغية نيل نزر يسير منه –إن يسر الله له تحصيله–، إلا أن نتيجة ذلك تُكلّلُ بالحلاوة والطمأنينة والفرح بنعمة الفهم عن الله، لأن ذلك يعتبر ضربا من ضروب تدبر وتمعن آيات كتاب الله التي قال فيها الحق سبحانه: **"كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوالألباب"**.

وقد اخترت في خطة هذا البحث أن أتبنى التصميم الآتي:

1. مدخل حول القرآن الكريم وكلام العرب.
2. مكانة الإعجاز البلاغي.
3. إعجاز البلاغة عند العلماء.
4. أسلوب القرآن.
5. نماذج من وجوه البلاغة القرآنية.

- خاتمة.

## 1. مدخل حول القرآن وكلام العرب:

تميز العرب الأقحاح غضون زمن النبوة بشدة تدقيقهم في فصاحة الكلام وبيانه، فهذا نموذج في سوق عكاظ حيث يعرض بيتان لحسان بن ثابت على الخنساء، فلمحت بقوة الملاحظة أنه أزرى بهما في ثمانية مواضع، والبيتان هما:

لنا الجفنات الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضحى

وأسيافنا يَقْطُرْنَ من نَجْدَةٍ دَمَا

ولدنا بني العنقاء وابني محرق

فأكرم بنا خالاً وَأكرم بنا أبَا

فقالت له: قلت لنا الجفنات وهي ما دون العشر ولوقلت الجفان لكان أكثر، وقلت: الغُرُّ وهوالبياض في الجبهة ولوقلت البيضُ لكان أكثر اتساعا، وقلت: يلمعن وهوما يأتي بعد الشيء ولوقلت: يشرقن لكان أكثر لأن الإشراق أدوم من اللمعان، وقلت: بالضحى، ولوقلت: بالدجى لكان أبلغ لأن الضيف أكثر طروقا بالليل، وقلت: أسيافنا، وهي دون العشر ولوقلت: سيوفنا لكان أكثر، وقلت يقطرن وهي من قلة القتل ولوقلت: يجرين لكان أكثر لانصباب الدم، وقلت دماً، والدماء أكثر من الدم، وفخرت بمن ولدت ولم تفتخر بمن ولدوك[1].

ولذلك، فما كان لينزل القرآن على من هذا شأنهم في اللغة إلا على أبلغ الوجوه وأفصحها بل أقوى مما عهدوه ليحصل بذلك التحدي والإفحام، حُكي أن عمر بن الخطاب كان يوما نائما في المسجد فإذا هوبقائم على رأسه يستشهد شهادة الحق فاستخبره فأعلمه أنه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وأنه

سمع رجلا من أسرى المسلمين يقرأ آية فتأملها فإذا هي قد جمعت ما أنزل الله على عيسى بن مريم من أحوال الدنيا والآخرة، وهي قوه تعالى: "**ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون**"[2] وسمع الأصمعي كلام جارية فقال لها:

قاتلك الله ما أفصحك، فقالت له: أيعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى:"**وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه**"[3] فجمع في الآية الواحدة بين **أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين**، فهذا نوع من إعجازه منفرد بذاته غير مضاف إلى غيره[4].

ولا يمكن لمن لم يتناه في معرفة اللسان العربي وفي الوقوف على وسع المتكلم في الفصاحة وما يتجاوز ذلك أن يدرك إعجاز القرآن، ولذلك يقرر الباقلاني (403هـ) أنَ من لم يبحر في معرفة أساليب الكلام ووجوه تصرف اللغة وإن كان من أهل اللسان العربي، **فهوكالأعجمي** لا يمكنه أن يعرف إعجاز القرآن إلا بمثل ما يعرف به الفارسي، وهو(أي العربي) ومن ليس من أهل اللسان سواء[5].

فنحن وإن لم نتفق مع الباقلاني في أن إدراك العربي للقرآن أرقى مستوى من إدراك غيره له، إلا أنهما في عدم إدراك حقيقة الإعجاز القرآني وأسراره بما يتطلب من ملكة لغوية تعين على ذلك سواء في النتيجة، وهي عدم تذوق أفانين الخطاب بما يزرع روح الإيمان في النفوس ويقويه"، ولما شعر العرب أنفسهم بما في القرآن من سموعن قول البشر نسبوه إلى السحر فكأنهم يقولون إن القرآن لا يستطيع أن يقوله إلا من أوتي قوة خارقة وليست من جنس قوى البشر"[6]، رغم أن إضفاء صفة السحر على الذوق اللغوي العربي ليس وصفا مذموما في حدّ ذاته، ومن ذلك قوله ﷺ: "**إن من البيان لسحرا**"[7].

ويمكن إجمال بعض الوجوه التي توازن بين القرآن وكلام العرب فيما يلي:

1 – نظم القرآن خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، فهويتخذ شكلا خاصا للسجع لا يشركه سواه.

2 – ليس للعرب كلام مشتمل على الفصاحة والتناسق والبراعة مثله وإنما تنسب لحكمائهم كلمات وقصائد معدودة.

3 – عجيب نظمه لا يتفاوت عما يتصرف فيه من وجوه: من قصص ووعظ واحتجاج وتعليم أخلاق...

بينما نجد كلام الخطيب يختلف باختلاف الأغراض فمنهم من يجيد في الوصف دون الغزل، ومن يحسن إذا رغب والآخر إذا طرب وغيرهما إذا رهب..[8]

يقول الرافعي في مقارنة بين بلاغة القرآن وبلاغة العرب:"إذا اعتبرت القرآن على تلك الوجوه رأيته أعلى من فنون البلاغة، فإنها من بيان اللسان الذي لا يرتفع عن اللغة ولا يخرج عن عادات وسنن أهلها في إبراز المعاني، وهذا يقع فيه التفاوت فيخرج بعضه إلى الإحكام وبعضه إلى التساهل وبعضه بين ذلك، لأن حالات المعاني تختلف باختلاف النفس...

ومهما يكن في آثارها من رونق ونظام فإن نفسا أنفذ من نفس وحسا أدق من حس وإحاطة أوسع من إحاطة[9].

فالقرآن الكريم نزل بلغة العرب وبما تقتضيه اللغة من قواعد تضبط منطقها، إلا أن ما يميزه هواشتماله على ما

فاق به بلاغة هذه اللغة، وذلك لأن معاني اللغة تتفاوت بتفاوت النفوس، أما القرآن فكلام رب النفوس فهوأعلم بالخطاب المؤثر فيها، قال تعالى:"**ألا يعلم من خلق وهواللطيف الخبير**"[10].

## 2- مكانة الإعجاز البلاغي.

حظي الإعجاز البلاغي بمكانة بارزة في دراسات العلماء السابقين الذين خاضوا غمار البحث في قضايا الإعجاز، ومن أبرز الأدلة على ذلك أن كتبهم كانت جل مباحثها بلاغية فقلما وجد منهم من يتعرض للجوانب الأخرى لوجود الإعجاز بالتفصيل والتحليل لدرجة أنه يمكن أن يقال أن الإعجاز إذا انطلق عند الأقدمين فإنهم يقصدون به الإعجاز البلاغي[11]، وما ذلك إلا لكون العرب كانوا أقحاحا يتكلمون بالسليقة، فكان أقرب شيء يمكن أن يعجزهم ويفحمهم انطلاقا مما هم فيه بارزون من التضلع في وجوه استعمال اللغة والبراعة في بلاغتها وأساليبها، هوما اشتمل عليه هذا القرآن من روائع الفصاحة والبلاغة والبيان، ومما يدل على أهمية الإعجاز البلاغي في مباحث الإعجاز عند الأقدمين، أبوبكر الباقلاني (403هـ) والذي جعل كتابه "إعجاز القرآن" حفرا في وجوه البلاغة القرآنية وكذا في وجوه البلاغة النبوية من خلال الخطب والرسائل....

ومن المعاصرين من يعتبر الإعجاز البلاغي هوالإعجاز الحق انطلاقا من عجز العرب الذين تحداهم عن أن يأتوا بسورة مثله، يقول أحمد البدوي(1384هـ):"وجه الإعجاز الحق إذا هوما اتسم به القرآن من بلاغة، تحير فيها أهل الفصاحة من العرب، وأعيان البلاغة منهم، فسلموا، ولم يشغلوا أنفسهم بمعارضته، لعلمهم بالعجز عن وصول مداه، وقوله تعالى حكاية عنهم:"لونشاء لقلنا مثل هذا(الأنفال 31) يحمل دليل عجزهم، فلوكانوا على ما وصفوا به أنفسهم: من القدرة على المجيء بمثل القرآن، لتجاوزوا الوعد إلى الوفاء بما ادعوا، فلما ينجزوا ما وعدوا، عُلم عجزهم وقصور باعهم"[12].

ولما كان الإعجاز البلاغي كذلك، لم يثبت قط أنه كان موضع جدل أوخلاف بين الفرق الإسلامية، وإنما كان الخلاف في اعتباره الوجه الأوحد في الإعجاز أوالقول معه بوجوه أخرى، وشبهة الخلاف التي قد تبدوفي معرض حديثهم عن ذلك، تنجلي بإمعان النظر في جدلهم المثار[13].

وفي إطار بيان مكانة البلاغة والفصاحة في الإعجاز، يقول الرازي(606هـ): إن وجه الإعجاز في القرآن: الفصاحة وغرابة الأسلوب والسلامة من العيوب، واعترض على التعريف بأنه تعميم وإطلاق للحكم بحيث يدخل مع القرآن غيره من كل كلام بليغ، ويستشكل الأمر ب: ما حدود الفصاحة التي إذا جاوزها عُد معجزا؟ وما مواطن الحسن في غرابة الأسلوب التي تنتهي إلى الإعجاز؟[14] ثم ما العيوب التي إذا سلم منها الكلام عُد بليغا؟ إلا أن موطن الشاهد من كلام الرازي تركيزه على الفصاحة والأسلوب في تحديد وجه الإعجاز، والذي يفهم من كلامه أنه يجعل الإعجاز وجها واحدا إلا أننا لا نستطيع الجزم بهذا الحكم حيث يتطلب الأمر تقصيا لأقواله وآرائه في موضوع الإعجاز(وتفسير الرازي: مفاتيح الغيب، مليء بحقائق الإعجاز العلمي ).

وغير بعيد عن زمن الرازي، وُجد الإمام حازم (684هـ)[15] في "منهاج البلغاء" يقول:"وجه إعجاز القرآن من حيث استمرت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحائها في جميعه استمرارا لا يوجد له فترة، ولا

يقدر عليه أحد من البشر، وكلام العرب ومن تكلم بلغتهم لا تستمر الفصاحة والبلاغة في جميع أنحائها في العالي منه إلا في الشيء اليسير المعدود...ثم تعرض الفترات الإنسانية، فينقطع طيب الكلام ورونقه، ولا تستمر الفصاحة لذلك في جميعه، بل توجد في تفاريق وأجزاء منه"[16]

الجديد في كلام الإمام حازم هواعتباره إعجاز البلاغة مقرونا باستمراريته أي خلوهذه البلاغة القرآنية من الفترة التي تعرض في بلاغة البشر بحيث تنقطع الفصاحة أوتنحصر في طرف من الكلام دون جميعه، وعلق عبد الكريم الخطيب بأن هذا القول سُبق من طرف الجاحظ وتابعه عليه آخرون ممن كتبوا في الإعجاز وأنه وجه لا ينكشف إلا بعد النظر في القرآن كُله وهذا لا يتأتى إلا بعد نزول القرآن جميعه، إلا أن القرآن قد تحدى ولم يكن قد نزل منه إلا قدر يسير[17].

وكلام الخطيب هنا من حيث النظر في السياق الزمني، أما النظر الشمولي من أول القرآن إلى آخره فيكشف لنا عن استمرارية رفعة بلاغته وجزالة أسلوبه بما لا يمكن أن يشعر بفترة كفترات كلام البشر في شمول النظر إلى كلامهم.

من أهم ما صُنفَّ في البلاغة القرآنية، يذكر مصطفى الرافعي:

* كتاب ألفه الرازي (606هـ) وهوملخص لكتابي "دلائل البلاغة" و"أسرار الإعجاز" للجرجاني 471 هـ.

* بدائع القرآن لابن أبي الإصبع (654 هـ):ذكر فيه مئة نوع من معاني البلاغة.

* كتاب الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان لابن القيم (751هـ).

بالإضافة إلى كتابات المتقدمين: الرماني –الواسطي – العسكري – الجرجاني . ويقول مصطفى الرافعي في ما معناه: القرآن كان علم البلاغة عند العرب، ثم صار بعدهم بلاغة هذا العلم[18].

### 3 – إعجاز البلاغة عند العلماء:

يقرر عبد القاهر الجرجاني (471 هـ) أن المزية الظاهرة والفضيلة القاهرة لإعجاز بلاغات الآيات، إنما تحصل لمن يرجع ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض وملاقاة إحداها بالتي تليها، فالفضل تناتج ما بينها وحصل من مجموعها[19]، فالجرجاني يولي عناية وأهمية كبيرتين لجانب المعنى وتأليف الكلمات وترتيبها، وما هذا الموقف منه إلا لأنه رأى السابقين الذين كتبوا في إعجاز القرآن ونظمه، قد أكثروا من الحديث عن الجانب اللفظي، ولم يتناولوا جانب المعاني إلا لماما، ولذلك يقول في هذا الصدد:"وإذا ثبت أنه في النظم والتأليف، وكنا قد علمنا أن ليس النظم شيئا غير توخي معاني النحووأحكامه فيما بين الكلم، وأنا إن بقينا الدهر نجهد أفكارنا حتى نعلم للكلم المفردة سلكا ينظمها، وجامعا يجمع شملها ويؤلفها، ويجعل بعضا من بعض، غير توخي معاني النحووأحكامه، طلبنا ما كل محال دونه"[20].

فهذا الموقف يبرر للجرجاني حصر جهده واهتماماته على إبراز جانب المعاني القرآنية.

ومن الأمثلة التطبيقية التي يستشهد بها عن موقفه قوله تعالى: "**وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي**

**وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين"**[21].

فيمكن القول بأن الجرجاني تشدد في اعتبار الأسلوب وحده هوسر الإعجاز من غير التفات إلى معاني المفردات, إلا أن الجرجاني لا يقر أن الكلمة لوجردت من الكلام فقدت بالكلية صورتها البيانية التي تكون جزءا من الصورة العامة للقول, فالكلمة لها نور ينبثق بالتضام مع غيرها من غير أن يفنى ضوءها في ضوئه ولا تنمحي صورتها البيانية التي أشرقت بهذا التضام, وحري بنا أ نستحضر في هذا المقام موقفا فصلا لأبي زهرة إذ يقول: "وإذا أردنا أن نحرر القول الذي رآه الأكثرون, وخالف فيه الجرجانِي ومن لفّ لفّه, فإننا نقول: إن كلمات القرآن لها في تناسق حروفها وتلاقي مخارجها إشراق بلاغي, ولكن لا ينكشف ذلك الإشراق إلا بالتضام, أي: إن الإشراف ذاتي, وهوالأصل, ولكن شرط ظهوره تضام الكلمة مع غيرها"[22].

الإمام الخطابي كان له الباع العميق في إعجاز البلاغة وتتلخص نظريته كما تقرر عائشة بنت الشاطئ– في الاتجاه اللفظي بحيث إذا أبدل اللفظ عن مكانه فسد معناه أوضاع رونقه الذي يكون منه سقوط البلاغة, فالرونق اللفظي عنده غير فساد المعنى, ويرى من الإعجاز أن تأتي بلاغات القرآن جامعة لطبقات ثلاث متفاوتة المستوى مع استبعاد الهجين المذموم فجعل منها: البليغ الرصين ثم الفصيح القريب السهل ثم الجائز الطلق, فانتظم لها نمط من الكلام يتسم بالفخامة والعذوبة[23] .

واعتبرت بنت الشاطئ أن الجرجاني يفرق كذلك بين اللفظ والمعنى في نظريته في الإعجاز في النظم, في حين أنها لا ترى انفصالا بين اللفظ والمعنى, بل اللفظ يؤدي بفساده إلى فساد المعنى, ولا عبرة برونق لفظي مع فساد المعنى, ولا ينبغي أن يوهم التفاوت الذي جاء به الخطابي ما يفهم منه أن في القرآن درجة عليا من البلاغة وأخرى وسطى وثالثة دنيا, فالإعجاز البياني يفهم في أعلى درجات البلاغة, وهذه الدرجات قد لا تجمع بالضرورة في سورة واحدة, وبالسورة الواحدة وقع التحدي والإعجاز[24].

وفي نظري – والله أعلم – يمكن أن تكون هناك دواع موضوعية جعلت الجرجاني يتخذ موقف التفريق هذا بين اللفظ والمعنى لا تختلف عن تلك الدواعي التي جعلت منه يتشدد في قضية الإعجاز في النظم أنها تتمحور في الأسلوب بشموليته, في حين أن اللفظ الذي استعمل في غير مكانه فاسد بهذا الاعتبار وبالتالي يفسد معه المعنى, وهذا أمر لا ينكره الجرجاني ولا الخطابي وهوالتعبير الأخير لبنت الشاطئ:"ولا عبرة برونق لفظي مع فساد المعنى".

ننتقل بعد ذلك إلى حقيقة البلاغة القرآنية عند الرافعي بحيث سنجد عنده إضافة نوعية في هذا الصدد تتعلق بمفهوم متعلق بمعاني البلاغة القرآنية وهو: السياستان **البيانية والمنطقية**, بحيث إن الفطرة اللغوية والعقل العربي لا يبلغان مبلغ إعجازه على مستوى نسق الألفاظ وارتباط المعاني على وجوه السياستين من البيان والمنطق[25].

إن الحقيقة التي توصل إليها الرافعي في حديثه عن الإعجاز البلاغي في القرآن أنه معجز في العربية انطلاقا من البيان والمنطق المترابطين في خطابه, ويقول كلاما (يوزن بالذهب) يقرر فيه حقيقة البلاغة القرآنية:" يستحيل البتة أن يوجد في كلام عربي نوع من ذلك وقد

خلا هومنه, إلا أن يكون من باب الصنعة والتكلف الذي يتلوم الأدباء على صنعه ويذهبون فيه المذاهب الكثيرة من النظر والإعداد والتنقيح ونحوها, ثم لا يعطيه معنى البلاغة مع كل هذا العنت إلا اصطلاحهم أنفسهم على أنه من البلاغة [26]".

فعلم بذلك أن ما لم يوجد في القرآن من بلاغة فهومن قبيل تعنت وتكلف المتكلمين مما تجوز في تسميته بالبلاغة والبلاغة منه براء لأن وجوه السياستين البيانية والمنطقية مفتقدة لخروجها عن الوسع والطاقة فيَ الكلام.

## 4. أسلوب القرآن:

يتسم الأسلوب القرآني بالفخامة والقوة المكتسبتين من انتقاء ألفاظ لا امتهان فيها ولا ابتذال, بالإضافة إلى التصوير بما يبعث الحياة في الأسلوب, ويختص أيضا بما أسماه سيد قطب بالانسجام الموسيقي الذي فيه تآلف العبارة من كلمات متسقة ذات حركات وسكنات في رونق خاص, يقول سيد قطب (1385هـ) وهويتحدث عن هذا الإيقاع :"..الإيقاع الموسيقي الناشئ من تحيز الألفاظ ونظمها في نسق خاص, ومع أن هذه الظاهرة واضحة جد الوضوح في القرآن, وعميقة كل العمق في بنائه الفني, فإن حديثهم عنها لم يتجاوز ذلك الإيقاع الظاهري, ولم يرتق إلى إدراك التعدد في الأساليب الموسيقية, وتناسق ذلك كله مع الجوالذي تطلق فيه هذه الموسيقى ووظيفتها التي تؤديها في كل سياق"[27], فمع أننا قد نتفق أونختلف مع استعمال كلمة "موسيقى " في التعبير عن أفانين بلاغة وذوق القرآن, إلا أن سيد قطب يشير إلى أمر في غاية الأهمية وهووجود مستويين في تذوق أفانين البلاغة القرآنية: مستوى يغوص في إدراك أسرار البناء الفني للأسلوب وهوما يدعوإليه, ومستوى الإيقاع الظاهري الذي هوالأسلوب القرآني من حيث الإيقاع, وذلك حينما يتطلب الأمر تأملا وإعمالا للفكر كما في قوله تعالى "**الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها**"[28], فإن الإيقاع سمته الهدوء, وحينا ينقلب الهدوء إلى اندفاع في جمل قصيرة مثيرا بذلك الانفعال السريع حين يتطلب الأمر هجوم الحق على الباطل, من ذلك قوله تعالى " **ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا** " المدثر 11-12[29] .

فتبين إذا أن الأسلوب القرآني تكمن بلاغته في اختيار واتساق ألفاظه بشكل يعطيها انسجاما فنيا يحمل في خباياه كنوزا بلاغية تتجاوز الإيقاع الظاهري. وهذا الإيقاع يختلف شكله باختلاف السياقات والأغراض والمناسبات.

ومن ألوان التناسق والتأليف بين العبارات في القرآن, ذكر سيد قطب نكتا بلاغية من قبيل الفاصلة "**إن الله على كل شيء قدير** " بعد الكلام الذي يثبت القدرة , والتعبير بلفظ "الرب " في مواضيع التربية والتعليم كقوله تعالى "**رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين**"[30].

وكذلك التعبير بلفظ "الله" في مواضيع التأليه والتعظيم كقوله تعالى "**إن الله عنده علم الساعة** "سورة لقمان/ الآية 34[31]، وأجمل محمود السيد شيخون الخصائص المتعلقة بأسلوب القرآن في خمسة:

1. الأسلوب القرآني يجري على نسق بديع خارج عن المعروف والمألوف من نظام وطرائق كلامهم.

2. استمرار هذا التعبير على سمووجمال وعمق في المعنى والصياغة رغم تنقله بين موضوعات مختلفة .

3. معانيه مصوغة بحيث يصلح أن يخاطب بها الناس على اختلاف مداركهم وثقافاتهم وأزمنتهم وأمكنتهم.

4. تميزه بظاهرة التكرار وذلك بتكرار الألفاظ والجمل وكذا تكرار المعاني كالقصص والأخبار, وذلك من أجل إخراج المعنى الواحد في قوالب مختلفة لسببين: قصور الطاقة البشرية, وكذلك لإنهاء حقائق الدين إلى النفوس بتكرارها بصور مختلفة.

5. تداخل أبحاثه ومواضيعه في معظم الأحيان بدون فاصل[32].

واعتبار السيد شيخون لظاهرة التكرار خاصية من خواص الأسلوب, يشكل عليه من جهة اعتبار الباحثين في مجال البلاغة القرآنية للتكرار وجها من وجوه البلاغة, وأمثلتها التطبيقية سترد معنا في المبحث الأخير من هذا العرض, اللهم إلا إذا أجرينا مع قاعدة: لا مشاحة في الإصطلاح, فحينذاك يمكن اعتباره خاصية للأسلوب وكذا وجها بلاغيا في القرآن الكريم, والخاصية الخامسة التي ذكرها شيخون من الأهمية بمكان, حيث إن مباحثه تكاد تمتزج فتوجد فيها عدة قضايا متداخلة بشكل ليس فيه إرباك ولا نشاز ولا نفور سماع.

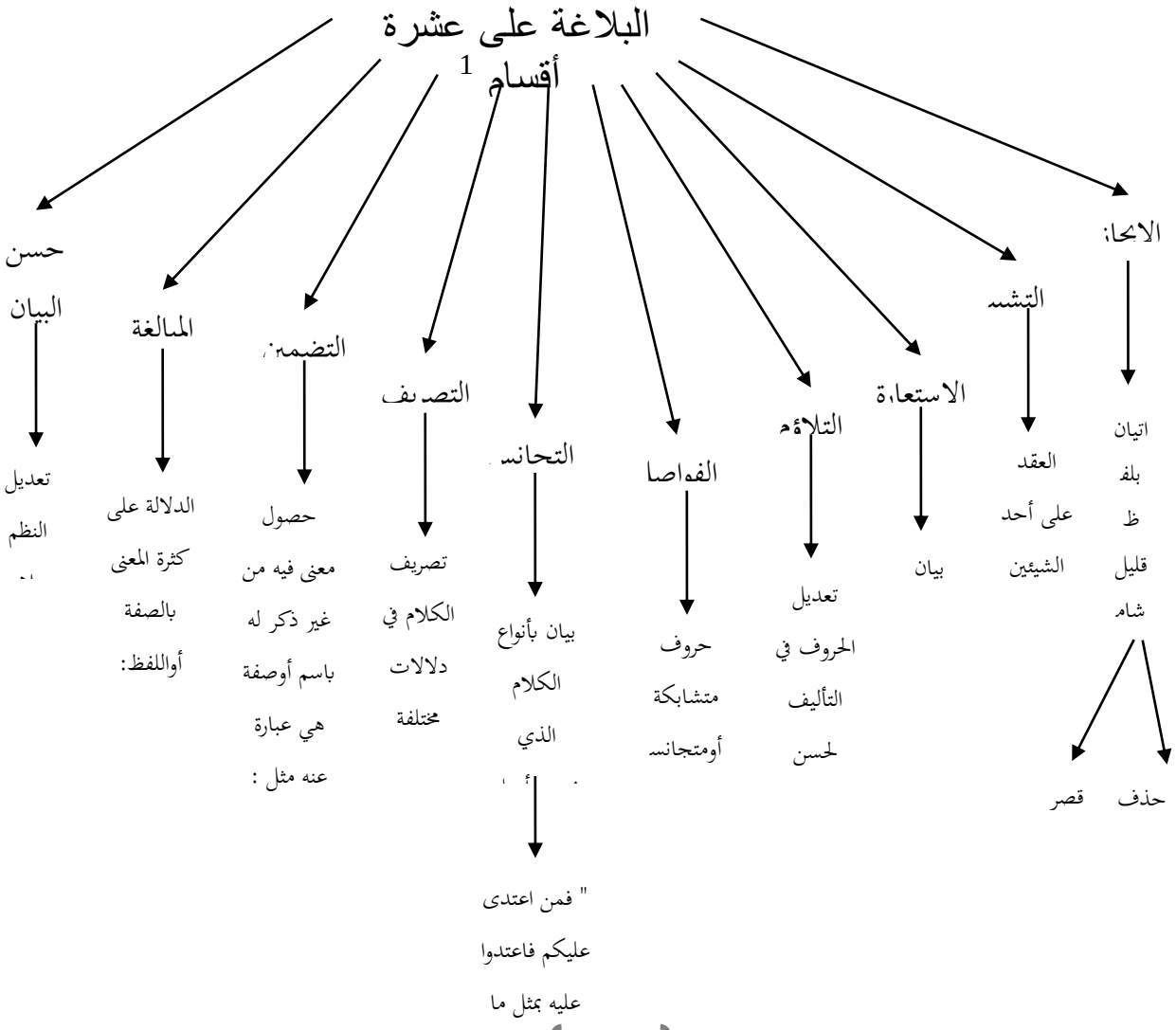

**5. نماذج من وجوه البلاغة القرآنية:**

**أ- لمحة حول صور البلاغة في القرآن**

**ب-نموذج لبلاغة القصر:**

قال تعالى " **فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل**" سورة التوبة: الآية 38.

فالفاء تحمل معنى التسبيب, ووقع إظهار في موضع الإضمار في قوله تعالى " متاع الحياة الدنيا " فمقتضى الظاهر في غير القرآن "ومتاعها", وأظهرت لاستحضار المعنى في القلب, (متاع) زادت المفارقة بين الحياتين, فالمتاع ما كان إلى زوال وهومشوب بأضعاف البلايا, إذن فهوانتفاع منقطع غير كامل, وفي قوله "في الآخرة" حذف لمتعلق ( في ) أي محسوبا في نعيم الآخرة, وتدل (في) على معنى المقايسة على ما ذكره ابن هشام حيث تدخل على مفضول سابق وفاضل لاحق, إلا أن ابن عاشور(1393هـ) انتقد هذا المعنى وقال: بأنه للظرفية المجازية ليصير المعنى: متاع الدنيا إذا أقحم في خيرات الآخرة كان قليلا بالنسبة لها, وفصل المقال في ذلك أن الطاهر بن عاشور يعمد إلى تحرير وجه دلالة ( في ) فهولا يرى المقايسة من المعاني الموضوعة لها, بل من باب الإفادة لا من باب الدلالة [33].

والبيان في الآية جاء في أسلوب تخصيص حصري على سبيل قصر الموصوف على صفة قصرا حقيقيا, أي أن هذا المتاع في حساب نعيم الآخرة مقصور على القلة وهي قلة تعم كل شؤون الدنيا, وهذه الحقيقة المقررة تسفيه لشأن المفتون بمتاع الدنيا الزائل وإغراء بنعيم الآخرة المقيم[34].

**ج- الحذف في البلاغة القرآنية: ياء النداء – الواو( نموذجان).**

– دأب القرآن على حذف أداة النداء " الياء " مع كلمة " رب " إلا في موضعين " **وقال الرسول يا رب** " و" **وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يومنون** " مما ذكره العلماء في سر الحذف هوالمبالغة في تصوير قرب المنادى " رب " حيث إن معناه: المربي والسيد والمالك, وهوبهذه المعاني من شأنه أن يكون قريبا لا يحتاج في ندائه إلى وسائط .

– أما عن الواو, ففي سورة الزمر, يقول تعالى :"**وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها** " فحذف الواوهنا محّض ما بعدها للشرط, فأصبح جوابا ل "إذا", أما ذكرها في الآية التي تليها فقد حمى ما بعدها أن يقع جوابا للشرط, والحذف في الأولى دلّ أن أبواب جهنم فتحت حين جاؤوها, والذكر في الثانية دل على أن أبواب الجنة كانت مفتحة قبل أن يأتوها, فلماذا هذا الفرق؟ الجواب: لأن جهنم سجن, والسجن ذلك شأنه: حراس شداد وأبواب محكمة الإيصاد, أما الجنة فهي دار كرامة وتشريف, فللترحيب بهم استعدت قبل وصولهم "**جنات عدن مفتحة لهم الأبواب** "[35].

**د- الترتيب في البلاغة القرآنية:**

ونموذج الترتيب الذي اخترته هوقوله تعالى: " **وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم** " سورة البقرة: الآية 127، فإسماعيل معطوف على إبراهيم وتأخر ذكره، يوحي بأن دوره في رفع القواعد دور ثانوي، أما الدور الأساسي فقد قام به ابراهيم "قيل كان ابراهيم يبني

وإسماعيل يناوله الحجارة "، فلننظر إلى دور الترتيب في تكون المعنى[36]، يقول البدوي في هذا الصدد: "والجملة القرآنية تتبع المعنى النفسي فتصوره بألفاظها ، لتلقيه في النفس حتى إذا استكملت الجملة أركانها، برز المعنى، ظاهرا فيه المهم والأهم، فليس تقديم كلمة على أخرى صناعة لفظية فحسب، ولكن المعنى هوالذي جعل ترتيب الآية ضرورة لا معدى عنه، وإلا اختل وانهار"[37].

### هـ- بلاغة التوكيد في القرآن: نموذج التوكيد اللفظي

تجدر الإشارة هنا إلى أن مقاربة التوكيد في البلاغة تختلف عن مقاربته في النحو، وإن كان بينهما بعض وجوه الالتقاء.

من مظاهر التوكيد اللفظي [1]

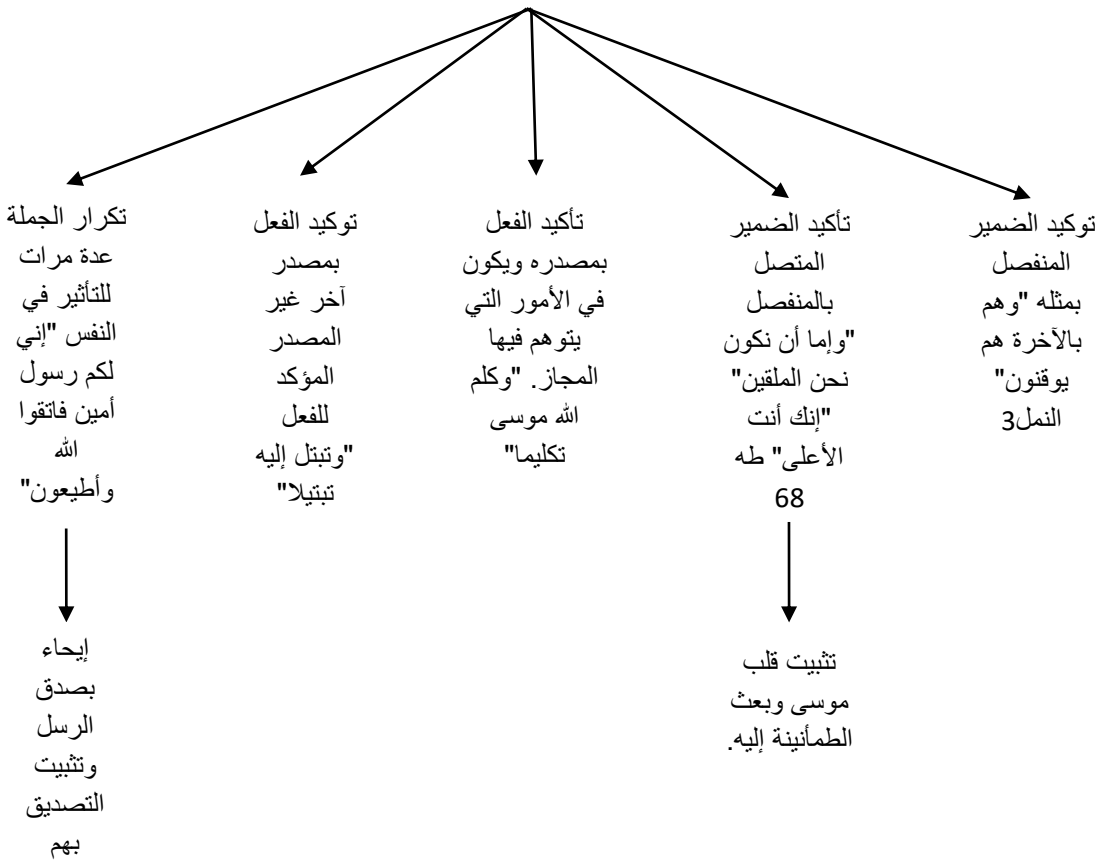

**و- ما لا يستحيل بالإنعكاس:**

يقول الأستاذ الرافعي: "بل إن في القرآن شيئا مما لا يتفق للناس إلا صناعة، ولم يكن يعرفه العرب ولا انتبهوا إليه، كهذا النوع البديعي الذي يسمونه (ما لا يستحيل بالانعكاس) وهوالذي يقر أن أوله وآخره سواء، فمنه في القرآن قوله تعالى: (كل في فلك) وقوله (وربك فكبر) على أن كل مثل يتفق من ذلك وشبهه إنما هومن العذوبة والسلاسة والإنسجام، كما ترى: آية في آية" (3).

**خاتمة**

إن البحث في الكنوز اللغوية التي يحويها القرآن الكريم مجال خصب لإظهار ثراء هذا الكتاب بالمعاني والدلالات التي تبرز قدر البشر ومحدودية إبداعه وتفكيره مما يؤكد ربانية مصدره وأنه تنزيل من حكيم خبير، وأهم ما يمكن أن نحصله من هذا العرض: هوإجماع علماء أهل هذا الشأن على أهمية ومكانة الإعجاز البلاغي بما يوافق بين السياستين البيانية والمنطقية، العلاقة التلازمية والجدلية القائمة بين اللفظ والمعنى وأثر ذلك في جودة وبراعة وتناسق الخطاب القرآني، كون هذا القرآن محلا لتحقق البلاغة الرفيعة لا يصرفه عن تحقيق الأغراض الأخرى التي يتوخاها الخطاب من ضرب للمثل وتعليم ووعظ وتشريع، وتلك جمالية أخرى تزيد في رونقه وقوة تأثيره، تفرد وتميز الخطاب والأسلوب القرآني بخصائص تجعله متعاليا وبائنا عن غيره من كلام البشر، خلوالقرآن الكريم من الفترات التي تعتري أداء كلام البشر، التداخل الحكيم بين مباحثه وموضوعاته وارتباطها بشكل يجعل الانتقال من موضوع إلى آخر على أحسن وأتم وجه، ارتباط البلاغة القرآنية بدلالات تشريعية وعقدية من خلال السياق والسباق واللحاق.

**لائحة المصادر والمراجع المعتمدة في العرض**


1- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

2- أضواء على القرآن (بلاغته وإعجازه): عبد الفتاح سلامة، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، الطبعة: السنة الثانية عشر، العدد السادس والأربعون، 1400هـ.

3- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق: عائشة بنت الشاطئ 1419هـ، دار المعارف، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ.

4- الإعجاز في دراسات السابقين: عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1974م.

5- إعجاز القرآن: الباقلاني 403هـ، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط5، 1997م.

6- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي 1356هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط8، 1425هـ / 2005م.

7- التصوير الفني في القرآن: سيد قطب 1385هـ، دار الشروق، الطبعة الشرعية السابعة عشر.

8- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: عبد العظيم المطعني 1429هـ، مكتبة وهبة، ط1، 1413هـ/ 1992م.

9- دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني 471هـ، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، ط3، 1413هـ/ 1992م.

10- شذرات الذهب دراسة في البلاغة القرآنية: محمود توفيق مُحَمَّد سعد.

11- الشفا بتعريف حقوق المصطفى (حاشية الشمني 873هـ)، القاضي عياض 544هـ، دار الفكر، لبنان، 1409هـ/1988م.

12- عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم: مُحَمَّد السيد جبريل، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، السعودية، بدون طبعة.

13- مباحث في إعجاز القرآن: مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ط3، 1426هـ/ 2005م.

14- المعجزة الكبرى للقرآن: أبوزهرة 1394هـ، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

15- من بلاغة القرآن: أحمد البدوي 1384هـ، نهضة مصر، القاهرة، 2005م.

الموسوعة القرآنية: إبراهيم الأبياري 1414هـ، مؤسسة سجل العرب، ط1405هـ.

**الهوامش:**

[1]- المعجزة الكبرى للقرآن: أبوزهرة (1394هـ)، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، بدون طبعة، ص 70(بتصرف).

2- سورة النور: الآية 52.

3- سورة القصص: الآية 7.

4 - الشفا بتعريف حقوق المصطفى: القاضي عياض بن موسى اليحصبي (544هـ)، دار الفكر، لبنان، 1409هـ/ 1988م، بدون طبعة، ج1، ص261(بتصرف).

5-إعجاز القرآن: أبوبكر الباقلاني (403هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط5، 1997م، ص113(بتصرف).

[6] -من بلاغة القرآن: أحمد عبد الله البيلي البدوي (1384هـ)، نهضة مصر، القاهرة، 2005م، ج1/ ص46 (بتصرف).

[7]-صحيح البخاري: كتاب النكاح، باب الخطبة، رقم: 5146، ج7/ ص19.

[8]- من بلاغة القرآن: ص 47 (بتصرف).

[9]-إعجاز القرآن والبلاغة والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط9، 1393هـ/ 1973م، ص260(بتصرف).

[10]-سورة الملك: الآية 14.

[11]-الإعجاز في دراسات السابقين: عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1974م، ص179/ 354 (بتصرف كبير).

[12]-من بلاغة القرآن: ج1، ص 48.

[13]- الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرق: عائشة بنت الشاطئ(1419هـ)، دار المعارف، لبنان، ط3، ص82 (بتصرف).

[14]- الإعجاز في دراسات السابقين: ص 359(بتصرف).

[15]- أبوالحسن حازم بن مُحَمَّد القرطاجي الأنصاري القرطبي، توفي سنة: 684هـ.

[16]- الإعجاز في دراسات السابقين: ص 359-360.

[17]- المرجع السابق - ص:360 (بتصرف.)

[18]- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ص 256-257 (بتصرف).

[19]- دلائل الإعجاز في علم المعاني: عبد القادر الجرجاني (471هـ)، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ط3، 1413هـ/ 1992م، ص45 (بتصرف).

[20]- مباحث في إعجاز القرآن: مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، سوريا، ط3، 1426هـ، ص 91 (بتصرف).

[21]- سورة هود: الآية 44.

[22]- المعجزة الكبرى للقرآن: ص 93 (بتصرف).

[23]- الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرق: ص101- 102 (بتصرف)

[24]- الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرق: ص 101 (بتصرف)

[25]- الإعجاز القرآني والبلاغة النبوية: ص 258 (بتصرف)

[26]- الإعجاز القرآني والبلاغة النبوية: ص 257.

[27]- التصوير الفني في القرآن: سيد قطب (1385هـ)، دار الشروق، الطبعة الشرعية السابعة عشر، ص:87.

[28]-سورة الرعد: الآية 2.

[29]- من بلاغة القرآن: أحمد البدوي، ص186- 188 (بتصرف).

[30]- سورة يوسف: الآية 101.

[31]- التصوير الفني – سيد قطب – ص: 88 (بتصرف)

[32]- الإعجاز في نظم القرآن – محمود السيد شيخون – مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة – مصر – ط 1، 1398هـ/ 1978م، ص:66 – 76 (بتصرف)

[33]- شذارات الذهب دراسة في البلاغة القرآنية - مُحَمَّد توفيق مُحَمَّد سعد – ص: 52- 54 (بتصرف) المكتبة الإلكترونية الشاملة (كتاب مرقم آليا)

[34]- شذارات الذهب دراسة في البلاغة القرآنية- ص:54 (بتصرف).

[35]- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية – عبد العظيم ابراهيم مُحَمَّد المطعني (1429هـ) – مكتبة وهبة – ط:1- 1413هـ/1992م- (كتاب في جزأين)- ج:2 – ص:8-12 (بتصرف).

[36]- من بلاغة القرآن_ ج:1/ص: 85 (بتصرف).

[37]-من بلاغة القرآن- أحمد البدوي- ص:85.